حملات مانويل كومنين على بلاد المجر
(١١٥١ - ١١٧٧ م)
فى ضوء كتابات حنا كناموس

دكتورة
ليلى عبد الجواد إسماعيل
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
كلية الآداب - جامعة القاهرة

حملات مانويل كومنين على بلاد المجر
(١١٥١ - ١١٦٧ م)
فى ضوء كتابات حنا كناموس

لعبت المجر دورًا هامًا فى سياسات الإمبراطورية البيزنطية خلال فترة حكم الإمبراطور مانويل كومنين (١١٤٣ - ١١٨٠ م) ويرجع ذلك إلى أن مانويل كومنين كان من أم مجرية ، وهى الأميرة بيروسكا Piruska - ابنة الملك المجرى لادسلاس الأول Ladislas I (١٠٧٧ - ١٠٩٥ م) - التى تزوجت من أبيه حنا كومنين (١١١٨ - ١١٤٣ م) وأصبحت بحكم هذا الزواج إمبراطورة بيزنطية ، وسُميت باسم الإمبراطورة إيرين Irene [١] .

كذلك ورث مانويل عن أبيه حنا علاقات مضطربة مع المجر ، فعلى الرغم من أن المجر كانت تمد بيزنطة فى بعض الأحايين بالقوات المساعدة ، فإنها كانت لا تتورع عن خوض حرب ضدها إذا ما حاولت حكومتها التدخل فى شئونها الداخلية ، وسعت إلى مساعدة المتمردين عليها ومثيرى الشغب والفوضى بداخلها ، وجعلت من القسطنطينية عاصمتها ملجأ وملاذًا لهم [٢] .

ويُضاف إلى ما سبق أن « مانويل » وضع نُصب عينيه هدفاً رئيسيًا أخذ يسعى نحو تحقيقه ، ألا وهو : محاولة إحياء إمبراطورية جستنيان ، واستعادة ماكان لبيزنطة من سيادة على الغرب ، ورأى مانويل فى المجر بحكم موقعها الاستراتيجى قاعدة ذات قيمة كبيرة فى خططه الإمبراطورية فى وسط أوروبا ، وخاصة . وأن الإمبراطورية الألمانية - وعلى رأسها فردريك بربروسا Frederick Barbarossa - كانت تشكل عقبة كئودًا فى سبيل تحقيق ماكان يصبو إليه مانويل ، لذلك كان عليه أن يسعى جاهدًا لإدخال المجر فى دائرة النفوذ البيزنطى ، ليضمن بذلك نجاح مشروعه الخاص بإحياء الإمبراطورية من ناحية ، ولاستعادة السيادة البيزنطية على البلقان ، والتى انتزعها المجريون من ناحية أخرى [٣] .

---

(١) Obelensky, The Byzantine Commonwealth Eastern Europe, 500-1453, Oxford - London 1971, p. 213.

(٢) obelensky, The Byzantine Commonwealth, pp. 213-14

(٣) Evin Pamlenyi, Histoire d- Hongrie des Origines a'nos Jours, Trans. Par Laszlo Podor, p. 70.

وحاول مانويل كومنين تحقيق ذلك عن طريق الحملات العسكرية ، فشن العديد منها على بلاد المجر خلال مايقرب من ستة عشر عاماً تبدأ من عام ١١٥١ م وتنتهى بعام ١١٦٧ م .

ويفصل المؤرخ البيزنطى حنا كناموس Cinnamus [١] لهذه الحملات تفصيلاً مستفيضًا ، ويعد تاريخه المصدر الرئيسى لها ، فكناموس عاصَرَ الإمبراطور مانويل كومنين وصاحَبَه فى العديد من هذه الحملات ، كما عمل كسكرتير خاص له ، لذلك يحتل تاريخه درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لعصر مانويل بصفة عامة ، وحملاته على بلاد المجر بصفة خاصة .

وسوف نحاول فى هذا البحث تقسيم هذه الحملات تقسيمًا زمنيًا حتى يتسنى لنا إبراز أسباب هذه الحملات ونتائجها فى صورة واضحة ، وخاصة أن تاريخها وحوادثها متداخلة ومعقدة .

* * *

أولًا – حملات مانويل كومنين على المجر (١١٥١ – ١١٥٦ م) :

شكل المجريون خطرًا بالغاً لبيزنطة منذ أن أقاموا على ساحل دالماشيا ، فقد ترتب على ذلك حدوث نوع من التقارب بينهم وبين الصرب ، وسرعان ماتوطدت أواصر هذا التقارب بزواج أميرة صربية من أمير مجرىٌ ، وتشكل حليف جديد من المجر والصرب ضد بيزنطة فى الشمال الغربى . لذلك بدأت بيزنطة تنظر بعدم الارتياح وبعين القلق لهذا التقارب [٢] .

وسرعان مانضجت ثمار هذا الحلف عندما هاجم الإمبراطور مانويل الصرب فى عام ١١٥٠ م ، وأسرع الصربيون إلى طلب العون والمساعدة من حلفائهم المجريين ،

(١) لمزيد من التفاصيل عن حنا كناموس ومؤلفه انظر محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل الأول (١١٤٣ – ١١٨٠ م) الإسكندرية ١٩٨٥ ، ص ١٢ – ١٦ وانظر ايضًا : Kinnamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, Tran. by Charles Brand, New York 1976, pp. 2-3.

(٢) Vasiliev, Histoire de l'Empire Byzantin, T. II, Paris 1932, p. 52.

ولبّت المجر النداء على الفور ، وأسرع ملكها جيزا الثانى Geza II (١١٤١ – ١١٦٢ م) بإرسال القوات المجرية لمساعدة الصرب والوقوف إلى جوارها فى حربها ضد بيزنطة (١) .

وخرج الإمبراطور مانويل لمنازلة القوات المجرية القادمة لنجدة الصرب ، ونجح فى التصدى لإحدى الفرق المجرية وهزمها ، فولت الفرار ، وطاردها البيزنطيون حتى نهر تارا Tara (٢) . أما عن بقية الجيش المجرى الذى كان يتألف – كما يذكر كناموس – من قوة لا تحصى من الفرسان المجريين ، وكذلك عدد من الخاليس Chalis (٣) فقد نجح فى الانضمام إلى الصرب ، ووقف على أهبة الاستعداد لقتال البيزنطيين (٤) .

واصطدم خلال المعركة قائد الجيش المجرى – ويدعى باخينوس Bacchinus ويصفه كناموس (٥) بالشجاعة وطول القامة – بالقائد البيزنطى كانتاكوزين Cantacuzanus وعجز الأخير عن مواجهة القائد المجرى والتصدى له . وعندئذ أرسل الإمبراطور إلى قائده كانتاكوزين فرقة من ثلاثمائة رجل لمساندته ، ثم خرج بنفسه لقتال القائد المجرى ونجح فى أسره (خريف عام ١١٥٠ م) (٦) .

ولم يغفر الإمبراطور مانويل للمجريين تحالفهم وانضمامهم إلى الصرب فى حربهم ضده ، واتخذ من هذا التحالف مبررًا – كما يذكر كناموس – ليشن عليهم أولى حملاته ، غير أنه لم يُفَاجِئَهُم بالحرب ، بل أرسل إليهم خطابًا يحذرهم فيه من هجومه المرتقب ، ويظهر لهم من خلاله سوء مسلكهم نحوه ، ونظرًا لأن لهجة الخطاب كانت ممزوجة

---

(١) Cinnamus, Historiarum, in Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, Bonnae 1836, p. 103.

وانظر الترجمة الإنجليزية p.82

(٢) Cinnamus, Historiarum, pp. 103-104.

وانظر الترجمة الإنجليزية pp. 84 - 85 .

(٣) الخاليس وهم الخوارزمية المسلمين الذين كانوا يعيشون فى بلاد المجر . ولمزيد من التفاصيل عنهم والدور الذى لعبوه فى بلاد المجر . انظر : ليلى عبد الجواد : « المسلمون فى بلاد المجر فى العصور الوسطى » . مقال منشور بمجلة المؤرخ المصرى ، العدد السابع ١٩٩١ م ، ص ٥٦ – ٥٩ ، ٦٨ – ٧٠ .

(٤) وانظر الترجمة الإنجليزية p.86 Cinnamus, Historiarum, p. 107.,

(٥) والترجمة الإنجليزية p.88 Cinnamus, Historarum, p. 112.,

(٦) والترجمة الإنجليزية p.89 Cinnamus, p. 112.

وانظر أيضًا : Lebeau, Histoire du Bas-Empire, T.16,pp.133-34

بروح التهديد والوعيد فقد فضل جيزا الثانى ملك المجر الحرب على أن يفتح باب المفاوضات من أجل الصلح والسلام (١) .

عندئذ استغل الإمبراطور مانويل فرصة غياب جيزا الثانى عن بلاده وانشغاله فى حرب مع الروس وخرج بحملته الأولى متجهًا نحو نهر الدانوب (فى خريف عام ١١٥١ م) لمهاجمة المجر . ويروى كناموس تفاصيل هذه الحملة فيذكر أن الإمبراطور بعد أن نجح فى عبور نهر استروس Istros أى نهر الدانوب تقدم فى بلاد المجر ، وقام بنهب كل ما صادفه فى طريقه بدون شفقة أو رحمة – كما جاء على لسان كناموس نفسه (٢) – حتى وصل إلى قلعة زوجمين Zeugminus (٣) وهى من القلاع المجرية الحصينة ذات الأسوار العالية ، فعجز عن الاستيلاء عليها ، وترك عندها صهره ثيودور باتاتزيس Theodore Batatzes على رأس قسم من الجيش ، فى حين تابع الإمبراطور تقدمه مع باق الجيش داخل المجر عبر القرى التى تقع بين نهرى الدانوب والساف Save (٤) .

وخرج الجيش المجرى للتصدى للبيزنطيين والدفاع عن بلاده . ويذكر كناموس أنه نظرًا لقلة هذا الجيش فإنه لم يستطع المخاطرة بقتال البيزنطيين واضطر للاستسلام ، واستمر الإمبراطور فى تخريبه وتدميره للمدن المجرية ، وأَسَرَ أعدادًا كبيرة من المجريين نساءً ورجالًا ، وأطفالًا وشيوخًا ، ويبالغ كناموس فيذكر أن الجزيرة التى يكونها نهر الدانوب والساف قد خلت من سكانها تمامًا ، إذ وقعوا جميعًا فى الأسر (٥) . ثم يعلق كناموس على هذا الانتصار الذى حققه مانويل بقوله : « إن هذا شيء يستحق أن يُسَجَّلَ بين أعظم أعمال الرومان (أى البيزنطيين) » (٦) .

---

(١) Cinnamus, Historiarum, p. 133. وانظر الترجمة الإنجليزية p.90

(٢) Cinnamus, Historiarum. p. 113-114., وانظر الترجمة pp. 90-91

(٣) شيدها المجريون فى عام ١١٢٤ م ، وتقع بالقرب من مدينة سرمم Sirmium بين نهر الدانوب والساف وعلى بعد ثلاثة أميال شمال غرب بلجراد . انظر : Lebeau, Histoire du Bas-Empire, T. 16 p.14.,
وانظر أيضًا : Kinnamos, trans, by Charles Brand, p. 235, note 11.

(٤) Cinnamus, Historiarum, p. 114; Lebeau, Histoire du Bas-Empire, T. 16, p. 135.

(٥) Cinnamus, Historiarum, p. 114.,

(٦) Ibid.

ويتابع كناموس روايته فيذكر أن الإمبراطور عاد بعد ذلك إلى قلعة زوجمين zeugminus التى كان يحاصرها قائده باتاتزيس والتى يَئِسَ أهلها من حضور الملك جيزا الثانى لمساعدتهم ، فآثروا تسليم قلعتهم عندما رأوا استعدادات البيزنطيين لمهاجمة أسوارها ، ولكن بشرط أن ينسحب منها البيزنطيون ويُؤمنوهم على أنفسهم ، وعندما رُفِضَتْ شُروطُهم تقدموا خاضعين للإمبراطور وقد عَمهم الخزى وسلموا أنفسهم له ، وأمر الإمبراطور بعدم التعرض لهم أو قتل أىٌّ منهم ، ثم أباح لجنوده الاستيلاء على ماتحويه القلعة من مُؤَنٍ وأسلحة (١) .

وأسرع الإمبراطور بعد ذلك بعبور نهر « الساف » بما معه من أسرى ، فى الوقت الذى كان جيزا الثانى قد فرغ فيه من حروبه مع الروس وخرج منها منتصرًا ، وسار مسرعًا على رأس جيش كبير لقتال البيزنطيين ، وعندما علم مانويل بمقدمه أمر بنقل ميدان القتال وآلات الحرب وجميع الأسرى إلى الشاطىء الآخر لنهر « الساف » ، كما أمر قائد الأسطول بأن يُبقى على جميع السفن والقوارب على هذه الضفة . أما هو فقرر الخروج على رأس كوكبة من فرسانه لمواجهة جيزا الثانى بأقصى سرعة (٢) .

وبينما كان يستعد الإمبراطور للرحيل علم بتقدم جيش جيزا الثانى وعلى رأسه عمه بولوسيس Bolosis فهب مانويل للقائه ، ولكن فاجأه الليل وهو فى الطريق إليه . وفى الصباح علم بولوسيس باقتراب الإمبراطور ، فرحل بكامل قوته بعد أن اختلق بعض الأعذار الواهية – كما يذكر كناموس – ومنها أنه تلقى أمرًا من الملك جيزا الثانى بالذهاب إلى مدينة برانزوبوس Branizobus (٣) ليصبح فى وضع يمكنه من مهاجمة البيزنطيين ، ومع ذلك فقد لحق به الإمبراطور وعبر الساف وعسكر أمامه ، لدرجة لم يستطع الخروج معها من معسكره عند برانزوبوس (٤) .

وأرسل الإمبراطور فى الوقت نفسه جيشًا آخر على رأسه أحد المجريين ، ويدعى

---

(١) وانظر الترجمة الانجليزية pp. 91-92 Cinnamus, Historiarum, pp. 114-115.,
وانظر أيضاً : Lebeau, Histoire du Bas-Empire, T.16, p. 135

(٢) وانظر أيضًا الترجمة الإنجليزية p.92. Cinnamus, Historiarum, p. 115.,

(٣) وهى مدينة برانيكوفا Branicova وعنها انظر : Dolger, Regesten Der kaiser Urkunden Des Ostromischen Reiches vor 565-1453, Vol. I, Berlin 1924, p. 71.

(٤) وانظر الترجمة الإنجليزية p.93. Cinnamus, Historiarum, p. 117.,

بوريس Boris [١] ليعيث فسادًا بالمنطقة التى يحيط بها نهر يسمى Temises – المتفرع من الدانوب – وكانت هذه المنطقة – كما يذكر كناموس تعج بأعداد كبيرة من السكان وبكل شىء له قيمة . ووصل بوريس Boris بسهولة إلى هذه المنطقة وبصحبته الجيش البيزنطى ، وقام بتخريب المنطقة تمامًا بعد أن اشتبك مع ثلاث فرق مجرية ، ونجح فى هزيمتها [٢] .

وقام جيزا الثانى – وكان على الشاطىء الآخر للدانوب – بمطاردة بوريس من الخلف وهو فى طريق عودته ، ولكن بدون جدوى ، إذ نجح بوريس فى عبور الدانوب أثناء الليل على ضوء المشاعل التى أرسلها إليه الإمبراطور مانويل من معسكره ، وعاد بوريس إلى المعسكر البيزنطى محملًا بالأسلاب والغنائم بدون أن ينال منه جيزا الثانى [٣] .

وعزم مانويل – بعد هذا النجاح الذى حققه جيش بوريس – على عبور الدانوب ثانية لمنازلة الملك جيزا الثانى الذى كان يعسكر على الضفة الأخرى للنهر ، ويروى كناموس أن جيزا عندما سمع بذلك تجنب لقاء الإمبراطور خوفا منه وخشية أن ينهزم على يديه ويورط القوة المجرية الباقية ويوردها مورد الدمار ، وأرسل سفارة إلى الإمبراطور تطلب منه عقد الصلح وتناقش معه شروط السلام . ووافق مانويل على عقد هدنة حتى نهاية عام ١١٥١ م ، وعاد إلى بيزنطة بعد ذلك ، حيث احتفل بانتصاره هناك [٤] ، وعلى هذا النحو يسدل الستار على أولى حملات مانويل على بلاد المجر .

ولم تكد فترة الهدنة تنتهى حتى خرج جيزا الثانى لقتال البيزنطيين (عام ١١٥٢ م) وكان سَبَبَ ذلك – كما يروى كناموس – استياؤهُ مما حل به من هزائم

---

(١) بوريس : هو ابن الملك المجرى كولومان (١٠٩٥ – ١١١٤ م) وابن عم الملك جيزا ، حاول أن يرتقى عرش المجر فى نهاية حكم استفن الثانى (١١١٤ – ١١٣١ م) ولكنه فشل واضطر للهرب إلى القسطنطينية ، فرحب به حنا كومنين وأنزله منزلة التكريم ، وزوجه من إحدى قريباته . وعندما توفى حنا احتضن ابنه مانويل بوريس ، وقدم له المساعدات لاستعادة عرشه ، وكثيرًا ما كان يخرج على رأسه الجيوش البيزنطية من أجل تحقيق هذا الهدف . لمزيد من التفاصيل انظر : Lebeau, Histoire du Bas-Empire, T. 16, pp. 136-37.

(٢) Cinnamus, Historiarum, pp. 117-18., وانظر الترجمة الإنجليزية pp.93-94.

(٣) Cinnamus, Historiarum, pp. 118., وانظر الترجمة الإنجليزية p. 94.

(٤) Cinnamus, Historiarum, p. 118., وانظر أيضًا الترجمة الإنجليزية p.94.

على أيديهم . ويتابع كناموس فيذكر أن الإمبراطور لم يكن ليصبر على هذه الإهانة ، لذلك شرع بعد حملته الثانية ضد المجر ، وخرج على رأسها بأقصى سرعة إلى الدانوب حيث أقام معسكره أمام المعسكر المجرى المقام على الضفة الأخرى للنهر (١) . وتردد الإمبراطور فى الاشتباك مع المجريين فى أول الأمر ، وذلك لتأخر وصول السفن البيزنطية ، ولكن ما إن وصل بعضها بعد عدة أيام حتى خاف ملك المجر – كما يروى كناموس – من أن يُصاب بهزيمة أخرى ، لذلك سارع بالتفاوض ثانية مع الإمبراطور ، وأرسل رسله من أجل طلب السلام ، وتم عقد معاهدة بين الطرفين (٢) تقرر فيها أن يحتفظ مانويل بألفين من الأسرى المجريين ويسلم الباقى ، واتخذت الترتيبات اللازمة لإطلاق سراح هؤلاء الأسرى بالفعل ، ولقاء ذلك تعهد ملك المجر أن يعيش صديقًا للبيزنطيين على مر الأيام . وبعد أن تم توقيع اتفاقية الصلح هذه انسحب الجيش البيزنطى عائدًا إلى بلاده (٣) .

ولكن لايجب أن نأخذ رواية حنا كناموس عن القتال الذى دار بين بيزنطة والمجر فى الفترة (١١٥١ – ١١٥٢ م) على أنها رواية مسلم بها ، وخاصة أن هناك رواية أخرى معاصرة تذكر حوادث الصراع المجرى البيزنطى خلال تلك الفترة ، وهى رواية الرحالة أبى حامد الأندلسى الغرناطى الذى زار بلاد المجر فى عام ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م وأقام بها ثلاث سنوات (٥٤٥ – ٥٤٨ هـ / ١١٥٠ – ١١٥٣ م) وهى السنوات التى دار خلالها القتال بين بيزنطة والمجر ، وجاء فى روايته : « أن ملك باشقرد (أى المجر) كل وقت يخرب بلاد الروم ... وهزم لملك الروم اثنى عشر عسكرًا . ويذكر فى موضع آخر : « وجاء صاحب القسطنطينية طالبًا للصلح ، وبذل أموالاً كثيرة وأسارى ... كثيرة » (٤) .

---

(١) وانظر الترجمة .p.96 Cinnamus, p. 121.,

(٢) اختلف الباحثون حول تاريخ توقيع هذه الهدنة فيرى دولجر أنها وقعت فى عام (١١٥٢ م) ، فى حين يرى روبرت برونتج Robert Browning أنها وقعت فى العام التالى (١١٥٣ م) ، ويبدو أن هذا التاريخ الأخير هو الأكثر احتمالا .

انظر : Dolger, Regesten, Vol. I, p. 69

Browning, « A new Source on Byzantine-Hungarian relations, in the twelfth Century» In Studies Byzantine Hist. Literature and Education, London, 1977, p. 179.

(٣) وانظر الترجمة الإنجليزية .p.95 Cinnamus, Historiarum, pp. 119-120.,

(٤) أبو حامد الأندلسى ، المعرب عن بعض عجائب المغرب ، نشر دوبلر ، نص بالعربية مع ترجمة وتعليق بالأسبانية ، مدريد ١٩٥٣ م ، ص ٣١

وبمقارنة رواية كناموس مع رواية أبي حامد يتضح أنَّ هناك اختلافًا بين الروايتين ، كما أن هناك نقطة اتصال بينهما . أما عن وجه الاختلاف فيظهر فيما تذكره الرواية البيزنطية من أن ملك المجر كان يتراجع دائمًا ويسعى لطلب الصلح ، فى حين جاء فى الرواية العربية أن ملك المجر كل وقت يخرب بلاد الروم ، وهزم للبيزنطيين اثنى عشر عسكرًا ، وأن الإمبراطور هو الذى جاء بنفسه لطلب الصلح وبذل الأموال والأسرى .

أما عن نقطة الاتصال بين الروايتين البينزنطية والعربية فتظهر فى أن كُلًّ واحدة منهما تذكر أنه تم توقيع اتفاقية للصلح وإطلاق سراح الأسرى ، وهذا يدفعنا إلى أن نتساءل : ما الذى يدفع الإمبراطور مانويل لقبول الصلح وإطلاق سراح الأسرى المجريين والعودة إلى بلاده إلا أن يكون المجريون قد حققوا انتصارًا بالفعل دفعه إلى قبول الصلح وعقد معاهدة للسلام ، والموافقة على إطلاق سراح ألفين من الأسرى المجريين .

ولم يمض وقت طويل على توقيع اتفاقية الصلح بين الطرفين (١١٥٢ – ١١٥٣ م) حتى تجددت العداوات بينهما من جديد ، ويرجع سبب ذلك هذه المرة إلى أن أندرونيقوس كومنين Andronicus Comnenus [(١)] – ابن عم الإمبراطور مانويل – عرض على المجريين أن يتنازل لهم عن مدينتى بارانكس Barancs ونيش Nis ، وكان حاكمًا لهما ، لقاء مساعدتهم له فى الاستيلاء على العرش الإمبراطورى ، ورحب ملك المجر جيزا الثانى كل الترحيب بهذا العرض ، وهاجم مدينة برانزبوس Branizobus التى كانت تحت السيطرة البيزنطية عندئذ [(٢)] .

وعلم مانويل بأخبار المؤامرة التى يدبرها أندرونيق مع المجر ، فقام باعتقال أندرونيق ووضعه تحت الحراسة فى أحد القصور ، وأعلن الحرب على جيزا الثانى ، واتجه على رأس حملته الثالثة [(٣)] إلى الدانوب لإنقاذ سكان مدينة برانزوبوس والدفاع

---

(١) هو الذى سيصبح فيما بعد إمبراطورًا باسم اندرونيق الأول (١١٨٣ – ١١٨٥ م) .

(٢) Nicetas Choniates, Historia, in Corpus Scriptorum Historiae-Byzantinae, Bonnae 1835, p. 133.

وانظر أيضًا :

Moravcsik, «Pour alliance Byzantino-Hongroise» Dans Byzantion T. 8 (1933) p. 558.

(٣) يجب ملاحظة أن ترقيم هذه الحملات من وضع الباحثة ، وأنه لم يرد فى المصادر .

عنها ، وقبل أن يصل إليها حاول أن يثبت روح الطمأنينة فى نفوس أهلها فأرسل إليهم خطابًا يخبرهم فيه أنه قادم لمساعدتهم ، وأمر أحد جنوده بأن يرمى بهذا الخطاب إلى أهل المدينة بواسطة سهم ، غير أن السهم ومعه الخطاب وقع فى أيدى المجريين ، وعندئذ أسرعوا بحرق آلاتهم ورفعوا الحصار عن مدينة برانزوبوس ، واتجهوا نحو الدانوب حتى يصبح النهر حداً فاصلاً بينهم وبين الإمبراطور ، وعندما علم الإمبراطور بأنهم رفعوا الحصار عن المدينة قرر ألا يتعقبهم (أواخر خريف عام ١١٥٥ م) (١) .

وتآمر المجريون مرة أخرى على بيزنطة ، إذ تحالفوا ضدها مع أمير بوسينا Bosins – وهى منطقة صربية – الذى عرض مساعدتهم فى قتال البيزنطيين ، وعندما علم الإمبراطور بذلك أرسل إليهم فرقة من خيرة فرسانه ، وعلى رأسهم القائد « باسل » زينزيلوس Basilus Zinzilus . ويذكر كناموس أن باسِلاً اشتبك مع الجيش المجرى ، وكانت الغلبة فى أول الأمر لصالحه ، إذ هاجم مقدمة الجيش المجرى فولت هاربة ، ثم هاجم القلب فارتد المجريون وولوا مدبرين فى ارتباك وفوضى ، ويتابع كناموس روايته فيذكر أن المجريين عندما علموا بأن الإمبراطور لم يخرج بصحبة هذا الجيش حتى دبت فيهم الشجاعة وهاجموا البيزنطيين ، وحولوا هزيمتهم إلى نصر مبين ، ومزقوا قوات باسل شر ممزق ، وسقط عدد كبير منهم صرعى فى ميدان القتال ، فى حين فر باسل نجاة بنفسه (٢) . وحاول كناموس أن يقلل من قيمة هذا الانتصار الذى حققه المجريون على جيش باسل ، كما حاول أن يلتمس العذر لبنى جلدته فذكر : « أنهم كانوا أقل عددًا ولذلك حلت بهم الهزيمة » (٣) .

وعندما وصل تقرير إلى الإمبراطور بما وقع لجيش باسل شعر بقلق بالغ ، وقرر الخروج بنفسه لمطاردة الجيش المجرى وتعقبه ، غير أن سادة بيزنطة لم يوافقوه على ذلك ، فرد عليهم بقوله : « إنه لمن العار أيها السادة أن أنسحب أمام الشدائد » (٤) على أن الإمبراطور مالبث أن تخلى عن قراره ، خاصة عندما علم بابتعاد القوة المجرية كثيرًا . ويذكر نيقتاس Nicetas أنه تم توقيع معاهدة سلام أخرى مع جيزا الثانى ملك

---

(١) انظر : Nicetas, Historia, p. 133.

(٢) Cinnamus, Historiarum, p. 132, Nicates, Historia, p.134

(٣) Cinnamus, p. 132.

(٤) Cinnamus, Historiarum, p. i33. وانظر الترجمة الإنجليزية p. 105.

المجر (١١٥٥ م) تضمنت شروطًا مناسبة للطرفين ، وتنازل المجريون بمقتضاها للبيزنطيين عن المنطقة المعروفة باسم Paeones [(١)] .

وفى ربيع العام التالى (١١٥٦ م) قام الإمبراطور مانويل بإعداد حملة جديدة لمهاجمة المجر ، ولا يذكر كناموس الأسباب التى دعت الإمبراطور لإعدادها هذه المرة سوى أنه قال : « إن الإمبراطور كانت لديه رغبة جارفة فى أن يتغلغل داخل أرجاء هذا البلد » [(٢)] . هذا فى حين يذكر أوتوفريزنغ [(٣)] Otto of Freising أن الإمبراطور البيزنطى كان قد أرسل جيشًا مع بوريس [(٤)] Boris لمهاجمة المجر ، وتعرض هذا الجيش لخسارة فادحة على أيديهم ، وقتل المجريون موريس نفسه . ويبدو أن الرغبة فى الانتقام لهذا الأمير وللضرر الذى حل بالبيزنطيين على أيدى المجريين هى التى دفعت الإمبراطور إلى إعداد هذه الحملة التى يمكن أن نطلق عليها الحملة الرابعة .

خرج الإمبراطور على رأس جيشه لمهاجمة المجر(١١٥٦ م) وضرب معسكره على شاطىء الدانوب ، كما ألقت السفن – التى خرجت بصحبته من بيزنطة – مراسيها هناك فى انتظار أوامره . ويذكر كناموس أن جيزا الثانى بدأ يحس عندئذ بحرج موقفه وبما سيحل بيلاده من دمار وتخريب ، لذلك أرسل سفارة إلى الإمبراطور فى (سبتمبر ١١٥٦ م) وعلى رأسها رجل مرموق من رجالات بلاطه ، وعرضت هذه السفارة على الإمبراطور رد الأسرى والغنائم والأسلحة والخيول إلى جانب اجابة الإمبراطور إلى كل مايريد ، غير أن الإمبراطور رفض هذا العرض فى بادىء الأمر ثم عاد وقبله ، وتم عقد معاهدة صلح جديدة مع جيزا الثانى ، بنودها على النحو التالى :

١ – الاعتراف بخط الدانوب – الساف كحد فاصل بين بيزنطة والمجر .

٢ – إعادة الأسرى البيزنطيين الذين وقعوا فى أيدى المجريين فى المعركة السابقة .

٣ – رد الأسلحة والجياد والثيران للبيزنطيين وغيرها من الغنائم التى وقعت فى أيدى المجريين ، مع تعويضهم عما فقدوه منها بحيوانات بديلة [(٥)] .

---

(١) Nicetas, Historia, p. 134.

(٢) Cinnamus, Historiarum, p. 133. وانظر الترجمة p. 105.

(٣) Otto of Freising, The deeds of Frederich Barbarossa, trans. by Charles Christopher, New York 1953, p. 168.

(٤) عن بوريس انظر ما سبق ص ٧٨ ، هامش ١ .

(٥) Cinnamus, Historiarum, p. 134. وانظر الترجمة الإنجليزية p. 105.

وانظر أيضًا : Lebeau, Histoire du Bas-Empire, pp. 149-50

وعلى هذا النحو تبدو هذه المعاهدة فى صورة أكبر من المعاهدتين السابقتين اللتين تم عقدهما مع جيزا الثانى فى عامى (١١٥٢ - ١١٥٥ م) .

وظلت هذه الاتفاقية سارية المفعول ، وتوقف القتال بين الجانبين ابتداء من ١١٥٦ م وحتى وفاة جيزا الثانى فى بدايات عام ١١٦٢ م .

ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى انشغال بيزنطة والمجر فى ذلك الحين بالصراع بين البابوية ، ممثلة فى شخص الباب الكسندر الثالث Alexander III ، والإمبراطورية فى شخص فردريك بربروسا ، والذى نشب فى عام ١١٥٩ م (١) . هذا فضلاً عن انشغال مانويل خلال تلك الفترة بالشرق وقضاياه (٢) .

ثانيا - هجمات مانويل على بلاد المجر (١١٦٢ - ١١٦٣ م) :

شهدت بلاد المجر على إثر وفاة جيزا الثانى فى عام ١١٦٢ م صراعات مريرة حول العرش ، أتاحت هذه الصراعات الفرصة كاملة لمانويل لأن يتدخل فى شئون المجر تدخلاً فعليًا ، تمهيدًا لوضعها تحت السيادة البيزنطية ، ثم اتخاذها قاعدة لبسط سلطان بيزنطة على الغرب كله . وكان على مانويل أن يعمل جاهدًا من أجل استمرار هذه الصراعات وذلك عن طريق تشجيعه لأدعياء العرش والمطالبين به ، واستخدامهم كأداة فى تحقيق غاياته وآماله .

ويروى كناموس تفاصيل الصراع الذى دار حول العرش المجرى بعد وفاة جيزا الثانى ، فيذكر أنه كان لجيزا شقيقان ، الأكبر يدعى لادسلاس Vladislaus والثاني يدعى استفن Stephanus ، كما ترى ولدين ، الأول يُدعى استفن ، على اسم عمه ، والثانى يدعى بيلا Bela ، وكان القانون المجرى يقضى بأن يتولى العرش الأخ الأكبر ، ومن ثم كان من المفروض أن يصبح لادسلاس شقيق جيزا الأكبر خليفة له ، ولكن جيزا بدافع من عاطفة الأبوة تغاضى عن قانون البلاد ، وأوصى بأن يخلفه على العرش ابنه الأكبر استفن ، وبذر بذلك بذور الفتنة بين أخويه وابنيه (٣) .

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذا الصراع . انظر : سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ص ٣٧٩ ومايليها : Pamlenyi, Histoire de Hongrie, pp. 70-71.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر : محمود سعيد عمران ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد مانويل كومنين (١١٤٣ - ١١٨٠ م) ص ٢١٧ - ٢٧٧ .

(٣) Cinnamus, Historiarum, pp. 202-203, وانظر الترجمة الإنجليزية pp. 154.

ارتقى استفن ابن جيزا الثانى الأكبر العرش طبقًا للإجراءات التى اتخذها أبوه قبل وفاته ، وبأصوات الأمة المجرية كذلك ، وأصبح ملكًا على المجر باسم (استفن الثالث Stephan III) وكان حينئذ فى الرابعة عشرة من عمره ، وعندئذ لجأ لادسلاس واستفن إخوة جيزا إلى بلاط الإمبراطور البيزنطى مانويل الذى رحب بهما ، ووجد فى مقدمهما فرصة مواتية للتدخل فى شئون المجر ، وسمح لهما بالإقامة فى بلاده ، وشرع يوثق الروابط معهما ، فزوج استفن من ماريا ابنة أخيه إسحاق ، وأمل استفن أن يصل إلى العرش عن طريق هذه الزيجة ، أما لادسلاس فقد رفض مصاهرة البيت الإمبراطورى ، لأنه كان مقتنعًا تمامًا أنها لن تجر عليه سوى كراهية المجريين (١) .

كما أرسل مانويل رسله على الفور إلى بلاد المجر من أجل أن يوجه النصح والإرشاد لأهلها ، ويظهر بمظهر المدافع عن حقوق أخوة جيزا الثانى فى العرش ، غير أن المجريين كما يذكر ليبو Lebeau لم يكن لديهم أى رغبة فى الخضوع للادسلاس ، ولا لأخيه استفن ، لارتباطهما مع الإمبراطور البيزنطى بروابط قوية ، كما تصور المجريون أنهم إنْ قبلوا الخضوع لهذين الأميرين أو لأحدهما فهذا يعنى أن تصبح المجر إقليمًا تابعًا لبيزنطة ، ويصبح المجريون أتباعًا خاضعين لها (٢) . لذلك رد المجريون على سفارة الإمبراطور بأن أرسلوا إليه رسلًا يخبرونه بأن لهم ملكًا اختاروه بمحض إرادتهم ، وبأصوات الأمة وتأييدها ، وأنه الوحيد الذى يقبلونه سيدًا عليهم (٣) .

عندئذ رأى مانويل أنه لا سبيل سوى استخدام القوة ، فسار على رأس قواته نحو الدانوب ، وبعد عبوره تقدمت القوات البيزنطية فى المجر ، وعلى رأسها القائد الكسيوس كونتوستافنوس Alexius Contostephanus مصطحبًا معه الأميرين : لادسلاس واستفن ، ونجحت القوات البيزنطية فى استمالة سادة قلعة شرم Charm

---

= وانظر أيضًا : Nicetas, Historia, p. 165, Lebeau, Hist du Bas-Empire, T.16, p. 200-201.

(١) Cinnamus, p. 203, Nicetas, p. 165, Lebeau, Hist. duBas-Empire, T.16, p. 201, Denis Sinor, Hist. of Hongary, p.53.

(٢) Lebeau, Hist. du Bas-Empire, T. 16, P. 201.

(٣) Nicetas, Historia, pp. 166.

المجرية بالمال ، وقوى بذلك مركزها [١] . وخشى المجريون من اقتراب الإمبراطور كما يذكر كناموس ، واضطر ملكهم استفن الثالث أن يتنازل عن منصبه لعمه الأكبر لادسلاس ، كما منح عمه الثانى استفن لقب Wrum ويعنى عند المجريين ولى عهد السلطة الملكية ، ولم يكن هذا اللقبُ يمنح إلا لمن يرث العرش [٢] .

وارتقى لادسلاس العرش باسم لادسلاس الثانى بمساعدة القوات البيزنطية ، ولكنه لم ينعم به طويلا ، فلم تمضى ستة أشهر على توليه الحكم حتى وافته المنية عام (١١٦٢ م) وخلفه أخوه استفن باسم استفن الرابع Stphen IV ، غير أن شعبه لم يكن راضيًا عنه ، لذلك قام المجريون بثورة ضده وعزلوه من منصبه ، وأعادوا استفن الثالث إلى العرش مرة أخرى ، فطلب استفن الرابع مساعدة مانويل ، فأرسل إليه قسمًا من جيشه على رأسه ابن أخيه الكسيوس كونتوستيفانوس (ربيع عام ١١٦٢ م) ولكن فى الوقت الذى وصل فيه هذا الجيش كان استفن قد تصالح مع المجريين ، ولم يعد بذلك فى حاجة إلى مساعدة الإمبراطور وعونه ، لذلك عاد الجيش البيزنطى إلى قواعده [٣] .

ولكن عاد المجريون وأشعلوا نار الثورة ثانية ضد استفن الرابع ، فلجأ إلى إحدى المدن التابعة لبيزنطة قرب الدانوب ، وخرج الإمبراطور مانويل بنفسه لاستقباله ، وقدم له ما يحتاج إليه من أموال مع فرقة من الجند على رأسها القائد الكسيوس كونتوستيفانوس لمساعدته فى استرداد العرش [٤] . ثم لحق مانويل بهم حيث أقام معسكره عند Dese وهناك أقبلت إليه – كما يذكر كناموس – رُسل استفن الثالث ليعرضوا عليه مقترحات السلام ، غير أن الإمبراطور رفض المقترحات التى تقدموا بها ، وأمرهم بالخروج من المعسكر فى الحال والعودة من حيث أتوا ، ثم غادر الإمبراطور معسكره عند Dese وتابع سيره حتى وصل إلى مدينة بلجراد Belegrada فى نفس

---

(١) Nicetas, Historia, pp. 166-167.

(٢) Cinnamus, Historiarum, p. 203, Nicetas Historia, p. 167, Lebeau, Histoire du Bas-Empire, T. 16, p. 202.

(٣) وانظر الترجمة الانجليزية pp. 160-61 Cinnamus, Historiarum, pp. 211-212.

(٤) وانظر الترجمة Cinnamus, Historiarum, p. 212., p.161
وانظر أيضًا : Lebeau, Histoire, T.116. p. 205.

الوقت الذى فشل فيه القائد البيزنطى الكسيوس فى كسب المجريين عن طريق المال ، كما لم تُجْدِ التوسلات معهم لإعادة استفن الرابع إلى العرش ، وذلك لكراهيتهم الشديدة له ، ورغبتهم فى إعادة استفن الثالث ابن جيزا . ولذلك أصبح مستحيلا على مانويل أن يعيد للعرش أميرًا مغضوبًا عليه ، مكروهًا من شعبه [١] .

وسرعان ما أدرك مانويل أن قضية استفن الرابع قضية خاسرة وميئوس منها ، وأن الوقوف إلى جواره ومساعدته وتأييد مطلبه لاستخدامه كأداة فى سياسته تجاه المجر لن يكون عونًا له فى تحقيق أهدافه ، كذلك أدرك مانويل أن محاولاته العسكرية التى قام بها ضد المجر لم تنجح أيضًا فى تحقيق ما أراد من إخضاع المجر للسيادة البيزنطية ، لذلك بدأ يبحث عن وسيلة أخرى غير مساندة المطالبين بالعرش ، وغير الهجمات العسكرية لتحقيق أغراضه .

وبدأ مانويل يرسم خطة جديدة للاندماج الكامل مع المجر ، ولتنفيذ هذه الخطة أرسل كما يذكر كناموس سفارة بيزنطية على رأسها جورج باليولوجوس George Paleologus [٢] إلى بلاط المجر فى صيف (عام ١١٦٣ م) للتفاوض مع المجريين وبحث أمر زواج الأمير بيلا Bela – الابن الثانى لجيزا الثانى – من ابنته ماريا Maria وتوصلت السفارة البيزنطية مع المجريين إلى الاتفاق على :

١ – أن يتعهد مانويل بأن يزوج ابنته ماريا من الأمير بيلا ويجعله وريثًا للعرش البيزنطى ، وخاصة أن مانويل لم ينجب طفلًا ذكرًا يخلفه على العرش .

٢ – أن تتنازل المجر للأمير بيلا عن حصته فى ميراث أبيه ، وتتمثل فى أمارتى : دالماشيا ، وكرواتيا Dalmato - Croate [٣] وذلك حتى يضمن مانويل السيطرة على البلقان :

---

(١) وانظر : Lebeau, Histoire T. 16, pp. 206-207. Cinnamus, Historiarum, pp. 213-14, p. 162.

(٢) وكان قائدًا للحرس الإمبراطورى وترقى لرتبة الـ Sebastie
انظر : Cinnamus, p. 215.

(٣) وانظر الترجمة الإنجليزية p. 163. Cinnamus, Historiarum, p. 215.,
وانظر أيضًا :
Moravcsik, «Hungary and Byzantium in the middle Ages» in Cam. Med. Hist. Vol. IV, Part I (1966), p. 582, Moravcsik, Pour alliance, pp. 556-56, Lebeau, Histoire, p. 207.

وبعد أن تم هذا الاتفاق عاد الوفد البيزنطى مصطحبًا معه الأمير المجرى بيلا – ولم تكن سنه قد تجاوزت الثالثة أو الرابعة عشرة – إلى البلاط البيزنطى ، وهناك حصل بيلا على اسم آخر وهو الكسيوس Alexius كما حصل على لقب الديسبوت despote ، ويعنى السيد (١) . وتمت خطبته بعد قليل للأميرة ماريا فى كنيسة البلاشيران بالقسطنطينية وسط مظاهر الفرح والسرور ، فى حفل حضره لفيف من كبار الشخصيات البيزنطية ، وفى مقدمتهم Theodoros Styppeiotes ، ومالبث الإمبراطور أن أعلن كل من بيلا وماريا ورثة للعرش البيزنطى (٢) .

ولقى قرار الإمبراطور هذا ترحيبًا فى كافة الأوساط البيزنطية ، ولم يلق معارضة سوى من ابن عمه اندرونيقوس Andronicus وعدد من البيزنطيين ، كان من دواعى اعتراضه أن الإمبراطور ترك جميع البيزنطيين وولى رجلاً غريبًا ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « إنه لا يليق لا بابنة الإمبراطور ، ولا بمملكة الروم ، أن يتولاها رجل غريب » (٣) . ومن المعروف أن أندرونيقوس كان ممن يتطلعون إلى العرش الإمبراطورى ، وسبق أن قام بمحاولات لانتزاعه من يد مانويل (٤) .

ولم يعر مانويل غضب أندرونيقوس ومعارضته اهتمامًا ، إذ كانت لديه دوافع وأسباب قوية تدعوه إلى الارتباط بالأمير المجرى بيلا بالذات دون غيره من رجالات بيزنطة ، فقد تطلع مانويل إلى اتخاذ بيلا أداة مستقبلية فى سياسته تجاه المجر ، والتى تهدف إلى وضع الأخيرة تحت السيادة البيزنطية ، تمهيدًا لتحقيق هدفه الرئيسى ، وهو

---

(١) Cinnamus, p. 215, Moravcsik, pour alliance, pp. 556-57

وعن منصب الديسبوت انظر : Ostrogrosky, History of the Byzantine State. London 1957, p. 344.

(٢) Cinnamus, Historiarum, p. 215, Niceras, Historia, pp. 167, 179, Moravcsik, pour alliance, p. 557.

ومن الجدير بالذكر أن الكسيوس – بيلا أصبح بعد ذلك عضوًا فى الكنيسة الشرقية اليونانية البيزنطية ، وحضر مجمعًا بصحبة صهره مانويل فى عام ١١٦٦ م . انظر :

Patrologiae Graecae, T. 140, Col. 25

(٣) Nicetas, Historia, pp. 179-180.

(٤) انظر ماسبق ص ٧

إحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة ، هذا فضلاً عن أن الأمير المجرى بيلا كان وريثًا للعرش من ناحية ، وورث عن أبيه كُلًّا من دالماشيا وكرواتيا ، وهذا يعنى أنه يمكن أن تتحقق عن طريقه السيادة الكاملة لبيزنطة على البلقان ، كما كان يمكن أن يتحقق فى شخصه الاتحاد بين بيزنطة والمجر التى تقع فى منتصف الأقاليم الغربية (١) .

ثالثا - حملات مانويل على بلاد المجر (١١٦٤ - ١١٦٥ م) :

أمضى الأمير المجرى الشاب بيلا مايقرب من عشر سنوات فى بلاط بيزنطة ، واستغل مانويل فترة وجوده هذه فى بلاطه ، وبدأ يشن حملات من جديد على بلاد المجر ، واتخذت حملاته هذه المرة ستارًا جديدًا هو الدفاع عن حقوق بيلا - الكسيوس وعن مصالحه ، إذ قام أخوه استفن الثالث ملك المجر بالاستيلاء على البلاد التى سبق وتنازل عنها لأخيه بيلا باعتبارها حصته فى ميراث أبيه ، ومن ثم لم يحافظ استفن على الاتفاق الذى سبق وعقده مع البلاط البيزنطى (٢) .

ولذلك سعى مانويل إلى الاستمرار فى مساعدة استفن الرابع الذى عاد ثانية إلى المجر بعد أن جمع عددًا من القوات من أجل المطالبة بالعرش ، كما خرج بنفسه إلى الدانوب وعسكر فى مواجهة Titelion (٣) عازمًا على استعادة ميراث صهره الأمير بيلا (٤) . ويروى كناموس أن الإمبراطور عبر بعد ذلك نهر الساف ، ولم يستطع استفن الثالث - الجالس على عرش المجر - الاشتباك معه بقوة تعادل قوته ، لذلك سار استفن بما لديه من جند حاضرين وعبر الدانوب ، ووصل إلى مكان قصى فى بلاد المجر ، ومن هناك بدأ يجمع أعدادًا من القوات الحليفة ويستعد لملاقاة البيزنطيين فى الجولة القادمة (٥) .

---

(١) Moravcsik, pour alliance, p. 557.
Brehier, Le monde Byzantin, p. 334.

(٢) Cinnamus, Historiarum, p. 217, Moravcsik, pour alliance, p. 557, Moravcsik, Hungary and Byzantium, p. 582.

(٣) وهى Titel وتقع على نهر تيسا Tisza .

(٤) Lebeau, Histoire, T.16, p. 210 وانظر الترجمة الإنجليزية Cinnamus, Historiarum, p. 217, p. 164.

(٥) Cinnamus, Historiarum, p. 221, وانظر الترجمة الإنجليزية p.167.

أما عن المجريين فيذكر كناموس أنهم أحسوا بالخوف وهرعوا يفتحون أبواب مدنهم للإمبراطور ، وخرج عامتهم وقساوستهم يرتدون عباءات صوفية ويحملون الكتاب المقدس فى أيديهم للترحيب بالإمبراطور الذى تابع تقدمه حتى وصل إلى مدينة Possega على منتصف نهر الساف ، وهناك رحب به أسقفها وأهلها ، وقدموا له مفاتيح مدينتهم (١) . ثم اقترب الإمبراطور من الدانوب ، ووصل إلى مكان يسمى Petricum (٢) وعسكر هناك وكتب من معسكره للملك استفن الثالث موضحًا له الأسباب التى دفعته إلى المجىء إلى بلاده هذه المرة ، وتتلخص فى رغبته فى إعادة ميراث بيلا ، ودرء الخطر عن عمه استفن الرابع الذى تربطه بالإمبراطور صلة المصاهرة ، ووعد الإمبراطور استفن الثالث بإنهاء حالة الحرب إذا ماقبل إعادة ميراث أخيه بيلا وكف عن مناصبة عمه العداء (٣) .

وانتظارًا لوصول رد استفن الثالث عَبَر الإمبراطور الدانوب ، وضرب معسكره عند مدينة Pagtzium (٤) وواكب ذلك وصول أعداد من القوات الحليفة لمساعدة استفن الثالث فى حربه ضد الإمبراطور ، وكان على رأس هذه القوات لاديسلاس Vladislaus ملك بوهيميا ، وعندما علم الإمبراطور مانويل بوصول تلك الجموع واستعدادات استفن للمعركة ، استدعى أحد البيزنطيين العارفين بلغة أهل بوهيميا ، وأمره بالتنكر – كما يذكر كناموس – والذهاب إلى معسكر الأعداء لمقابلة الملك لا ديسلاس سرًا على وجه الخصوص ، ليشرح له حقيقة الموقف ، وأنه ليس من العدالة فى شىء مساندة ملك المجر الذى اغتصب العرش واستولى على ميراث أخيه بيلا وحنث فى وعوده وتعهداته للإمبراطور (١١٦٤ م) (٥) .

وأجاب لاديسلاس ملك بوهيميا موضحًا أنه لم يأت لحرب الإمبراطور ، وإنما جاء من أجل الدفاع عن استفن الذى أضر به عمه وهاجمه ثانية محاولاً أن يستعيد

---

(١) Ibid.

(٢) وهى الآن بطرس فارادين Peter Varadin وتقع على نهر الدانوب .
انظر : Lebeau, Histoire, T. 16, p. 210.

(٣) Cinnamus, Historiarum, p. 218., وانظر الترجمة الإنجليزية P.165.

(٤) وهى عاصمة إقليم سرم Sirm الواقع بين الدانوب والساف .

(٥) Cinnamus, Historiarum, p. 222., وانظر الترجمة الإنجليزية p. 168.

بالقوة المنصب الذى خسره بسوء حكمه ، ومن ثم فالعرش من الناحية الشرعية من حق استفن الثالث ، أما بالنسبة لعمه فإنه لن يستطيع حكم المجريين مرة ثانية . أما فيما يتعلق بميراث بيلا فقد ذكر لاديسلاس أن استفن مستعد تمامًا لأن يسلمه لأخيه على الفور ، كما أنه يتعهد بأن يصحح الأخطاء التى ارتكبها فى حق الإمبراطور (١) .

سر الإمبراطور مانويل عند سماعه رد لاديسلاس ملك بوهيميا ، وجعله وسيطًا للصلح مع استفن الثالث ، وتم عقد معاهدة فى عام ١١٦٤ م بين الطرفين تنص على :

– أن يعيد استفن الثالث إلى أخيه بيلا حصته من ميراث أبيه ، وتتمثل فى دالماشيا وكرواتيا .

– أن تعترف بيزنطة باستفن الثالث ملكًا على المجر ، وأن توقف مساعدتها لاستفن الرابع وتدعوه لترك السلاح ، وأن يبذل الإمبراطور قصارى جهده من أجل إقناعه بالتخلى عن المطالبة بالعرش (٢) .

قَبِلَ الإمبراطور بنود المعاهدة السابقة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وقبل أن يغادر الإمبراطور مانويل بلاد المجر نصح استفن الرابع (العم) بضرورة مغادرة المجر ، بعد أن اتضح له بالتجربة أن أهل المجر لا يحبونه ، ولن يرضوا حكمه ، غير أن استفن لم يستمع لنصحه ، ولذلك يمم الإمبراطور وجهه شطر القسطنطينية ، تاركاً أحد قادته – وهو نيقفوروس كالوفيس Nicephorus Chaluphes – وبصحبته جيش لمرافقة استفن الرابع ، والاهتمام بما يجرى من أمور (٣) .

وعندما أحس استفن الثالث بإصرار عمه على البقاء فى المجر خرج على وجه السرعة لقتاله ، وعندئذ نصح كالوفيس العم بضرورة الانسحاب إلى سيرم Sirmium التى كانت تتبع الإمبراطورية – وهناك سوف يجد الأمن والأمان ، غير أنه رفض ذلك بإصرار ، وصمم على البقاء فى المجر ، لذلك لجأ كالوفيس إلى الحيلة ليجبره على مغادرتها ، فادعى أن الإمبراطور أرسل إليه سفارة ، وأنه سوف يتجه بكامل قوته نحو

---

(١) وانظر الترجمة الإنجليزية p.169. Cinnamus, Historiarum, pp. 223-24.,

(٢) Cinnamus, pp. 224-25, Moravcsik, Hungary and Byzantium p. 582, Dolger, Regesten, 1455, p. 77.

(٣) وانظر الترجمة الإنجليزية p.170. Cinnamus, Historiarum, pp. 225-26.,

الدانوب لمقابلتها ، وعندئذ اضطر استفن الرابع للحاق به ، ومع ذلك فقد تعقبه المجريون حتى الأراضى الإمبراطورية ، وكاد يقع أسيرًا فى أيديهم (١) .

وما إن علم الإمبراطور بأن استفن الرابع لجأ إلى سيرم Sirmium وأن المجريين – وعلى رأسهم استفن الثالث من ورائه – حتى أرسل كوكبة من رجاله وعلى رأسها ميخائيل جابراس Michael Gabras – زوج ابنة أخيه أوداكيا Eudocie من أجل الدفاع عن سيرم ، مدخل بلاده من ناحية الشمال ، والحفاظ على أمن وسلامة استفن الرابع (٢) .

وقبل أن تصل القوة البيزنطية إلى سيرم كان استفن الثالث قد نجح فى الاستيلاء عليها واستعادتها ثانية من أيدى البيزنطيين ، وما إن علم مانويل بذلك حتى كتب إليه رسالة (فى ربيع عام ١١٦٥ م) (٣) يطلب منه فيها الانسحاب الفورى من سيرم وإلا فسوف يخرج على رأس جميع قواته لقتاله ، كما ذكره فى هذه الرسالة بما أصاب بلاده من تخريب وتدمير ، وماتعرض له المجريون من سفك للدماء واستشهاد نتيجة الحروب التى خاضها أبوه جيزا الثانى مع البيزنطيين (٤) .

ولم يعر استفن الثالث رسالة مانويل وتهديداته اهتمامًا ، ودخل فى مفاوضات مع أحد الأمراء الروس ، وهو الأمير هيروسلاوس Hieroslaus الذى عرض عليه الزواج من ابنته وأرسل إليه عددًا كبيرًا من الفرسان ، مما ساعده على التقدم فى الأراضى البيزنطية ، وضرب الحصار على زيوجمين (٥) .

واستشاط الإمبراطور مانويل غضبًا ، وراح يعقد بنوره سلسلة من التحالفات مع العديد من الأمراء ، وبدأ أولا بالأمراء الروس ، فأرسل فى عام (١١٦٥ م) أحد أقاربه – ويدعى مانويل أيضًا – إلى بلاط الأمير الروسى بريميسلاوس Primislaus وطلب منه قوة تسانده فى حربه مع المجر ، وجاء على لسان كناموس أن

---

(١) Cinnamus, Historiarum, pp. 225-26., p.170.

(٢) Ibid.

(٣) Dolger, Regesten, 1482, pp. 77-78.

(٤) Cinnamus, Historiarum, p. 231., وانظر الترجمة الإنجليزية p.174.

(٥) عن زيوجمين انظر ماسبق ص ٣ ، هامش ٧ .

الإمبراطور أخذ يحرض الأمير الروسى ويحثه على مساعدته ضد المجر ، مستخدمًا كافة الحيل والوسائل ، حتي قبل هذا الأمير أن يقدم للبيزنطيين يد العون والمساعدة [(١)] . كما عقد مانويل تحالفًا مع فردريك بربروسا ، واتفقا معًا على شن حرب على « استفن » الثالث ملك المجر ، وانضم إلى تحالفهما « هنرى » دوق النمسا Autriche [(٢)] كذلك وعد الأمير عز الدين Azzeddin أمير الصرب الإمبراطور بأن يقدم له عددًا من القوات المساعدة طبقًا لمعاهدة وقعها معه [(٣)] . ورحب البنادقة أيضًا بإمداد البيزنطيين بأسطول يتألف من مائة سفينة حربية للقتال البحرى [(٤)] .

وفى الوقت الذى كان مانويل يعقد فيه هذه السلسلة من التحالفات أرسل جيشًا يعتد به لمساعدة مدينة زيوجمين على مواجهة حصار « استفن » الثالث ، وتولى قيادة هذا الجيش كل من ميخائيل جابراس Michael Gabras وجوزيف برينيوس ، Josephe Bryennius وكان بصحبتهما عدد من خيرة العسكريين البيزنطيين من بينهم يوحنا أنجيليوس ويوحنا إيزيس Ises . وكذلك شحن مانويل سفنًا عديدة بالجُند والمُؤَن وأمر بأن تبحر فى الدانوب لإمداد أهل زيوجمين بما يحتاجون إليه من ضروريات حتى يصل هو نفسه على رأس جيشه [(٥)] .

وأضاع المجريون وقتًا طويلا حول أسوار زيوجمين وصلت خلاله السفن البيزنطية ورست قرب ضفتى الدانوب ، ونجحت فى تقديم الكثير من المؤن للبيزنطيين بالداخل ، كما نقلت الجرحى وزودت المدينة بآخرين أصحاء على نحو ما يذكر كناموس [(٦)] . وقام المجريون المحاصرون للمدينة بجمع سفنهم فى محاولة منهم لاعتراض السفن البيزنطية وإغراقها ، غير أن محاولاتهم باءت بالفشل ، ويرجع كناموس سبب هذا الفشل إلى أن السفن المجرية كانت أقل سرعة من السفن البيزنطية ، كما أن اتساعها لم يكن

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : Cinnamus, Historiarum, pp. 235-36.

(٢) Cinnamus, Historiarum, p. 231.

(٣) Lebeau, Histoire, T. 16, pp. 217-18.

(٤) Cinnamus, Historiarum, p. 237.

(٥) Cinnamus, Historiarum, p. 238.

(٦) Cinnamus, Historiarum, p. 238.

معقولا ، ويُضاف إلى ذلك أنها لم تصنع بمهارة ، مما ساعد السفن البيزنطية على التصدى لها واعتراض طريقها فى النهر ، حتى اضطرتها للتقهقر والانسحاب إلى الضفة الأخرى (١) .

ولم يعد أمام المجريين من وسيلة سوى التخلص من « استفن » الرابع حليف مانويل والمرابط داخل زيوجمين ، والتى لجأ إليها بعد سقوط سيرم فى أيدى المجريين من أتباع ابن أخيه ، وذلك بأن رشوا بالمال بعض مَنْ كانوا يخدمونه من المجريين ، فدبر هؤلاء مؤامرة لقتله ، ونجحت المؤامرة ، وتم إلقاء جثته أمام أبواب المدينة ، وتُركت لوقت طويل دون مواراتها التراب ، وترتب على ذلك أن نجح المجريون من أتباع استفن الثالث فى الاستيلاء على مدينة زيوجمين (أبريل ١١٦٥ م) (٢) .

وعندما علم مانويل باستيلاء المجريين على زيوجمين اتجه نحو الدانوب عندما أوشك شهر يونيه ١١٦٥ م على الانتهاء ، وبعد عبوره النهر أخذ يستعد لحصار مدينة زيوجمين ، ويرى كناموس (٣) تفاصيل هذا الحصار فيذكر أن البيزنطيين شيدوا برجًا خشبيًا قصدوا تحريكه نحو المدينة لدخولها من فوق الأسوار ، ومنازلة المجريين من الشرفات يدًا بيد ، وكان الإمبراطور أول من حاول ارتقاء هذا البرج الخشبى وتسلق أسوار المدينة ومنازلة المجريين ، ولكن منعه القادة الذين كانوا بصحبته من أن يفعل ذلك .

وقاوم المجريون الحصار بشدة برغم الضغوط التى تعرضوا لها داخل المدينة من قبل الجند البيزنطيين ، وذلك لأنه كان يحدوهم الأمل فى أن جيشًا مجريًا قادم لمساعدتهم ، وأكد ذلك ما أعلنه رجال الاستطلاع البيزنطى عن اقتراب جيش ضخم على رأسه استفن ملك المجر ، ويضم بين جنباته عددًا كبيرًا من قوات الكومان والروس وغيرهم .

عقد الإمبراطور مجلس الحرب لبحث كيفية مواجهة الجيش المجرى القادم ،

---

(١) وانظر الترجمة الانجليزية p. 180.

(٢) وانظر الترجمة الإنجليزية p. 180.

(٣) وانظر أيضا الترجمة الإنجليزية pp. 182-83.

Cinnamus, Historiarum, p. 239.,

Cinnamus, Historiarum, pp. 239-40.,

Cinnamus, Historiarum, pp. 241-42.,

وانقسم الحاضرون فريقين ، رأى أحدهما ضرورة الرحيل وأن يضربوا معسكرهم على نهر الساف ومن هناك يمكنهم مواجهة الجيش المجرى بدون أن ينالهم أى ضرر ، فى حين رأى الفريق الآخر أنه يجب رفع الحصار عن المدينة والذهاب لقتال العدو المرتقب بكل قواتهم . غير أن الإمبراطور لم يوافق على رأى أىٍّ من الفريقين ، ووصف الرأى الأول بالجُبن والثانى بالحماقة (١) ، لأنهم إذا مارفعوا الحصار عن المدينة فسوف يتيحون للمجريين المحاصرين فرصة للحصول على حاجتهم من المؤن والرجال ، ولذلك رأى الإمبراطور أنه من الأفضل أن يظل قسمٌ من الجيش محاصرًا للمدينة ، فى حين يذهب القسم الثانى لقتال الجيش المجرى القادم ، وأخذ الجميع برأى الامبراطور وبدءوا يستعدون للتحرك (٢) .

وعندما تأخر وصول الجيش المجرى ولم تصل إليهم بشأنه أخبار أكيدة قاموا بمحاولة أخرى لاقتحام المدينة ، ويذكر كناموس أن المجريين المحاصرين دافعوا عن أنفسهم بالأحجار والسهام وكل ماطالته أيديهم ، وبرغم ذلك فقد نجح الجيش البيزنطى فى نقب الأسوار ثم فى هدمها ، وعندما شعر المجريون بحرج موقفهم أرسلوا إلى الإمبراطور يعرضون عليه الاستسلام وتسليم المدينة شريطة أن يرحل بدون أن يلحق بهم أية أضرار . غير أن الإمبراطور قبل ذلك بشرط أن يخرج القائد جريجور Gregorius وبقية القادة المجريين الآخرين وفى أعناقهم الأغلال حُفاة عُراة الرءوس – وهذا دليل خضوعهم – ولكن لم يقبل المجريون شرط الإمبراطور ، ولذلك عاود البيزنطيون الهجوم على المدينة مرة أخرى (٣) .

وتمكن القائد البيزنطى أندرونيق دوقاس Andronic Ducas من اقتحام المدينة والاستيلاء عليها فى هذا الهجوم الأخير ، واضطر جريجورى وأتباعه وسائر القادة المجريين للخضوع والاستسلام ، وانطلق البيزنطيون بداخلها يمارسون أعمال السلب والنهب (٤) .

---

(١) وانظر أيضا الترجمة الإنجليزية p. 183. Cinnamus, Historiarum, p.243.,

(٢) وانظر أيضا الترجمة p. 183. Cinnamus, Historiarum, p. 244.,

(٣) وانظر أيضا الترجمة p. 184. Cinnamus, Historiarum, p. 245.,

(٤) Ibid.

ولم يصدق « استفن » الثالث ملك المجر أن مدينة زيوجمين قد سقطت بسهولة فى أيدى البيزنطيين ، إذ كان واثقًا من أمن المدينة ، معتمداً على حصانتها ، ولكن عندما أيقن بضياعها أرسل إلى الإمبراطور مانويل يطلب الصلح ، ورحب الإمبراطور بعقد الصلح من أجل عدم إراقة الدم المسيحى – كما يذكر كناموس – ولكن بشرط أن يقسم المجريون له يمين الولاء ، قبل المجريون شرط الإمبراطور ، وتم عقد الصلح ، ورحل مانويل عائدًا إلى بيزنطة ، حيث أقام قداسًا كنسيًا للشكر [١] .

رابعًا – حملة مانويل الأخيرة على بلاد المجر (١١٦٦ – ١١٦٧ م)

ولم يطق « استفن » الثالث صبرًا على ضياع مدينة زيوجمين Zeugmin التى تعد مدخل بلاده من ناحية الجنوب ، لذلك راح يجمع قواته من أجل استردادها ، وأرسل على رأس هذه القوات قائدًا كبيرًا يدعى ديونيسيوس Dionysius (١١٦٦ م) وجهز الإمبراطور مانويل بدوره اثنين من خيرة قادته وهما : ميخائيل جابراس Michael Gabras وميخائيل براناس Michael Branas للتصدى لديونيسيوس ، والحيلولة دون وقوع زيوجمين فى يده ، غير أن ديوينسيوس تمكن من مفاجأة الجيش البيزنطى الذى وصل متعبًا وفى حالة سيئة وهزمه ، وفر قادته جابراس وبراناس هاربين ، واستطاع المجريون – وعلى رأسهم ديونيسيوس – استعادة زيوجمين ثانية ودون خسارة كبيرة . ويروى كناموس أن ديونيسيوس أراد أن يضخم من انتصاره ، فجمع حثث القتلى ووضعها فى مقبرة عظيمة ووضع عليها كميات هائلة من التراب ، ظنًا منه أن المذبحة سوف تُقاس بكم التراب وحجمه [٢] . كما يرجع كناموس سبب هزيمة الجيش البيزنطى إلى أنه لم يكن هناك ثمة تعاون بين القائدين : جابراس وبراناس ، وأن كليهما كان يعمل منفصلاً عن الآخر ، ومن ثم لم يؤديا واجبهما على النحو الأكمل [٣] .

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر :
Cinnamus, Historiarum, pp. 248-49.
وانظر أيضا الترجمة الإنجليزية .pp. 185-86

(٢) وانظر الترجمة الإنجليزية .pp. 193-94
Cinnamus, Historiarum, pp. 259-59.,

(٣) وانظر الترجمة الإنجليزية .p. 194
Cinnamus, Historiarum, p. 259.,

Chaluphes بذلك جمع رجاله واستعد للقاء المجريين والتصدى لهم ، ويذكر كناموس أنه أثناء تقدمه انسل اتباعه من حوله الواحد تلو الآخر ، وتسببوا بذلك فى وقوعه أسيرًا بسهولة فى أيدى المجريين (١) .

وكان الهجوم المجرى على دالماشيا وأسر حاكمها تشالوف من أهم الأسباب التى دعت الإمبراطور مانويل لأن يخرج على رأس حملته الأخيرة على بلاد المجر ، فما إن حل ربيع عام ١١٦٧ م حتى خرج مانويل على رأس قوات كبيرة ، وبعد أن أمضى فترة عيد الفصح (أبريل ١١٦٧ م) فى سلمبريا Selymbrial اتجه نحو فيليبوليس Philippopollis وهناك استقبل سفارة من ملك المجر ، ويذكر كناموس أنها جاءت تطلب عقد الهدنة وتأجيل الحرب ، غير أن الإمبراطور لم يقبل طلبها ورد السفراء المجريين خائبين ، وأرسل معهم أحد البيزنطيين ليطلب إطلاق سراح تشالوف حاكم دالماشيا ، وإلّا فإنه سيذهب بنفسه لإطلاق سراحه (٢) .

ولم يهتم استفن الثالث ملك المجر بتهديدات مانويل ، وأرسل قائده ديونيسيوس على رأس جيش نحو سيرم Sormium لاستعادتها كما استعاد زيوجمين من قبل ، وعندئذ قرر الإمبراطور أن يضع نهاية فاصلة لحربه مع المجر ، فأرسل القوات البيزنطية وعلى رأسها قائد عام وهو ابن أخيه اندرونيقوس الملقب بكونتوستيفانوس Andronicus Contestephanus فى (٨ يوليو ١١٦٧ م) (٣) لمهاجمة المجر . وبعد أن عبر كونتوستيفانوس الساف واقترب من المعسكر المجرى عند سيرم ، أمر أحد رجاله بالقبض على جندى من معسكر الأعداء ، ونجح الرجل فى أداء مهمته وأتى بالجندى المجرى ، وَاطَّلَعَ هذا الجندى – كما يذكر كناموس – القائد البيزنطى على أعداء القوات المجرية التى جاءت إلى مدينة سيرم وعلى خططهم ، فذكر له أن بينهم سبعة وثلاثين قائدًا ، وأن ديونيسيوس هو صاحب السلطة العليا بينهم ، وأبلغه أيضًا أن عدد جيشهم يُقَدَّرُ بأربعة عشر ألف رجل من الفرسان المسلحين والرماة والمشاة الخفيفة ، وهم على قَدْرٍ من الشجاعة ، ولن يستطع البيزنطيون مقاومة هجمتهم الأولى (٤) .

---

(١) Cinnamus, Historiarum, p. 263., وانظر أيضاً الترجمة الانجليزية p. 197.

(٢) Dolger, Regesten, Vol. I. 1472, p. 80. وانظر أيضا الترجمة الإنجليزية p. 199.

(٣) Cinnamus, Historiarum, p. 265.,

(٤) Dolger, Regesten, Vol. I, 1473, p. 80. وانظر الترجمة الإنجليزية p. 202.

Cinnamus, Historiarum, p. 270.,

عندئذ شرع كونتوستيفانوس فى تنظيم جيشه استعدادًا لقتال ديونيسيوس ، ويروى كناموس أن القائد البيزنطى صَفّ جيشه ، فجعل فى المقدمة الكومان ومعظم القوة التركية مع قلة من الفرسان الذين يقاتلون بالرمح ، ويلى المقدمة عدد من الكتائب البيزنطية يقودها عدد من القادة ، منهم كوكوبيسليوس Cocobsilius وفيلوكالس Philocales تاتيكيوس Taticius وسار خلفهم المشاة يختلطون بالرماة وكتيبة مسلحة من الأتراك . أما الجناحان فقد وَلّى كونتوستيفانوس قيادة الجناح الأيسر لجوزيف برينيوس Iosephus Bryennius وجورج براناس Georgius Branus وأخيه ديمتريوس ، وولّى قيادة الجناح الأيمن لأندرونيقوس لامباردس Lampardas Andronicus ومعه نخبة من البيزنطيين والألمان ، وكذلك الأتراك ، ووقف القائد العام كونتوستيفانوس فى مؤخرة الجيش ، واصطف حوله كثير من الرجال مع قوة من المرتزقة الإيطاليين ، وخلفه الصرب يحملون الرماح والتروس العريضة (١) .

وصف القائد المجرى ديونيسيوس جيشه – كما يذكر كناموس أيضًا – بالطريقة المعتادة ، وكان من عاداتهم أن تحفل الكتيبة الأولى فى الجيش بالصفوة من رجالاته (٢) .

ودار القتال ، وأمر القائد البيزنطى كونتوستيفانوس كتائب المقدمة أن تضرب المجريين بالسهام ، غير أن الجيش المجرى نجح فى التصدى لهم ، وولت مقدمة الجيش البيزنطى هاربة بأقصى سرعة ومتجهة نحو نهر الساف . ثم حمل المجريون حملة شعواء على الجناح الأيسر للجيش البيزنطى فلم يبق منه – كما جاء على لسان كناموس – سوى كتيبتين فقط ، فى حين انسحبت باقى الكتائب ، وتشتت شمل قادة هذا الجناح ، وراح أحدهم – وهو ديمتريوس – يقاتل المجريين فى يأس ، إذ لم يبق معه سوى ثمانين رجلاً ، وكانت النتيجة أن جُرِح ووقع فى الأسْر ، وسِيقَ إلى المعسكر المجرى ، أما شقيقه جورج فكانت تنقصه هذه الشجاعة ، ففر فزعًا من تفوق العدو (٣) .

---

(١) وانظر الترجمة الإنجليزية .p. 203 Cinnamus, Historiarum, p. 271.,

(٢) وانظر الترجمة الإنجليزية .p. 203 Cinnamus, Historiarum, p. 272.,

(٣) وانظر أيضا الترجمة الإنجليزية .p. 204 Cinnamus, Historiarum, p. 272.,

أما عن الجناح الأيمن وعلى رأسه لامبارداس فقد أفلح فى شن هجمات على المجريين جعلت الرعب يدب فى قلوبهم ، وفكر القائد المجرى ديونيسيوس فى القيام بمحاولة للالتفاف حول القائد العام كونتوستيفانوس ، وعندما شعر لا مبارداس بذلك عزم على الاشتباك مع ديونيسيوس ، ويروى كناموس أنهما اصطدما معاً ، وسمعت ضجة كبيرة وقعقعة فى كل مكان ، حيث اصطدمت الرماح بالأرواح فراحت تتهاوى على الأرض (١) .

وخشية أن ينهزم لامبارداس فقد تحرك كونتوستيفانوس واندفع نحو المجريين فى هجوم عنيف أسفر عن مذبحة رهيبة حلت بهم ، كما أسفر عن سقوط راية المجريين فى أيدى القوات البيزنطية ، ونظرًا لضخامتها فقد نقلت على ظهر عربة ، كذلك استولى البيزنطيون على جواد القائد المجرى ديونيسيوس وعلى سلاحه كاملا ، فى حين فر هو بصعوبة بالغة ، وبطريقة يذكر كناموس أنه لا يستطيع روايتها (٢) .

ويذكر كناموس أيضًا أنه تم أسر خمسة من القادة المجريين ، وحوالى ثمانمائة جندى ، فضلاً عن عدد من الشخصيات الهامة والضباط ذوى المراكز المرموقة ، وكان من الطبيعى أن يشيد كناموس فى ختام حديثه عن هذا القتال ببطولات القادة البيزنطيين ، وعلى رأسهم كونتوستيفانوس وأندرونيقوس لامبارداس (٣) . وهكذا انتهت الحملة البيزنطية الأخيرة على بلاد المجر بانتصار حاسم للجيوش البيزنطية وهزيمة القائد المجرى ديونيسيوس هزيمة ساحقة .

ولدينا خطبة (٤) على درجة كبيرة من الأهمية – ألقاها ميخائيل بطريرك القسطنطينية (١١٧٠ – ١١٧٨ م) فى القصر الإمبراطورى بمناسبة ترسيمه بطريركاً

---

(١) Cinnamus, Historiarum, p. 273.,
وانظر الترجمة الإنجليزية .p. 204

(٢) Cinnamus, Historiarum, p. 275.,
وانظر الترجمة الإنجليزية .p. 205

(٣) Ibid.

(٤) عن هذه الخطبة انظر :
Browining, «A new source on Byzantine Hungarian relations in the twelfth Century» in Studies on Byzantine Hist. Literature and Education, London, 1977, pp. 173-186.

للقسطنطينية فى يناير من عام ١١٧٠ م – وعرض ميخائيل فى خطبته لانتصار البيزنطيين على المجريين فى عام ١١٦٧ م ، وتمدنا هذه الخطبة بمعلومات هامة عن هذه الحملة ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بالاتفاق الذى وقع على أثرها بين البيزنطيين والمجريين ، ولم يذكره كناموس على الإطلاق .

وجاء فى خطبة ميخائيل بطريرك القسطنطينية أن نبلاء المجر اجتمعوا لطلب الصلح وعقد معاهدة سلام مع بيزنطة ، وأعلنوا عن هزيمتهم الكاملة على أيديها . أما عن بنود هذه الاتفاقية (١) فقد وردت فى خطبة ميخائيل على النحو التالى :

أولاً : الاعتراف من جانب المجر بكل من سيرم **Sirmium** دالماشيا **Dalmatia** وكرواتيا **Croatia** وبوسنيا **Bosnia** أراضٍ بيزنطية .

ثانيًا : أن تخضع كنيسة التاج المقدس **Holy Crown** فى المجر ومطرانيتها لبطريركية القسطنطينية ، مما يوضح أن الكنيسة المجرية لم تكن تتبع بطريرك القسطنطينية من قبل هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يؤكد هذا البند رغبة بيزنطة فى أن يكون لها نوع من السيادة الدينية على المجر .

ثالثاً : أن تدفع المجر جزية للإمبراطورية وتصبح تابعة لها ، وأن يقسم لها الأساقفة والأمراء ورجال الدين والنبلاء والجنود والضباط المجريين ، بالإضافة إلى عامة الناس فى المجر يمين الولاء .

رابعا : أن تأخذ بيزنطة أحد عشر نبيلاً مجريًا كرهائن حتى يتم تنفيذ بنود هذه الاتفاقية .

وعلى هذا النحو أتت الضربة الأخيرة التى وجهها مانويل ضد المجر أُكلها ، إذ أسفرت عن خضوع المجر الكامل للإمبراطورية البيزنطية ، فضلاً عن استعادة السيادة البيزنطية على البلقان ، وهكذا تكون حملات مانويل العسكرية على بلاد المجر قد حققت الأهداف المرجوة من ورائها .

* * *

---

(١) **Browning, A new source on Byzantine-Hungatian relations pp. 180-81, 186.**

قائمة المصادر والمراجع

أولا - المصادر والمراجع الأجنبية :

- Brehier, L. : Le Monde Byzantine
  Vie et Mort de Byzance, Paris 1946.
- Browning, R. «A new source on Byzantine-Hungarian relations in the twelfth century» In Studies on Byzantine History, Literature and Education, London 1977.
- Cinnamus, I., Historiarun, In Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, Bannae 1836.
- Kinnamos, J, Deeds of John and Manuei Comnenus, Trans. by Charles Brand, New York 1976.
- Dolger, G.m Regesten Der kaiserurkunden Des Ostromischen Reiches Von 565-1453, Vol. I, Munchen und Berlin 1924.
- Lebeau, Histoire du Bas-Empire, T. 16, Paris 1834.
- Moravcsik, «Hungary and Byzantium in the Middle Ages» In Cambridge Medieval History, Vol IV, Part I (1966), pp. 569-572.
- «Pour alliance Byzatino-Hongroise, Seconde moité du XII Siécle « Dans Byzantion T. 8, (1933) pp. 555-568.
- Nicetas, Ch., Historia, In Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, Bonne 1835.
- Obelensky, The Byzantine Commonwealth Eastern Europe 500-1453, Oxford - London 1971.
- Ostrogrosky, History of the Byzantine State, London 1957.
- Otto of Freising, The deeds of Frederich Barbaros, Trans, by Charles Christopher Mierow, New York 1953.
- Pamlenyi, Evin, Histoire de Hongrie, Trans. par Làzló Pôdoř, Budapest 1974.
- Vasiliev, Histoire de l'Empire Byzantin, T. II, Paris 1932.

* * *

ثانياً – المصادر والمراجع العربية :

– أبو حامد الأندلسى الغرناطى : المعرب عن بعض عجائب المغرب ، نشر دوبلر ، نص بالعربية مع ترجمة وتعليق بالأسبانية ، مدريد ١٩٥٣ .

– سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

– ليلى عبد الجواد إسماعيل : « المسلمون فى بلاد المجر فى العصور الوسطى » بحث منشور بمجلة المؤرخ المصرى ، العدد السابع ، يوليو ، ١٩٩١ ، ص ٣٩ – ٨٠ .

– محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل الأول (١١٤٣ – ١١٨٠ م) ، الإسكندرية ١٩٨٥ م .

* * *